مدينة حلب فى عصر بنى حمدان (٣٣٣ ـ ٤٠٦ هـ)

دراســة حضارية (*)

صـورة مدينة حلب :

وصفت مدينة حلب فى معجم البلدان(١) بأنها (مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة الأديم والمـاء) ، وهى (بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب ، وفى جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيستان ، وفى احداهما كان المذبح ، الذى قرب عليـه ابراهيم عليه السلام ، وفى أسفل القلعة مغارة كانيخبىء بها غنمه ... وفيها جامع وست بيع ، وبيمارستان صغير) . وقد ظلت حلب فى العصر الاسلامى على درجة كبيرة من الأهمية مما تطلب تحصينها بأسوار تعـد من أعظم الأسوار التى خلفها الفن العسكرى الاسلامى . هـــذا الى إن وجود كنيستين بها دليل على سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون مما كفل لسكان المدينة من النصارى قدرا كبيرا من الحرية الدينية . أما وجود البيمارستان ، فدليل أيضا على الاهتمام بتوفيـر المنشـــآت الاجتماعية لرعاية أهل المدينة .

ولا أدل على اهتمام حكام حلب بتحصينها مما ذكره الرحالة ناصر خسرو(٢) من أنه رأى مدينة حلب ، بها سور عظيم ارتفاعه خمســة وعشرون ذراعا وقلعة عظيمة مشيدة كلها على الصخرة ، وهى أعظم من قلعة بلخ ، ولها أربعة أبواب ، باب اليهود ـ باب الله ـ باب الجنان ـ

(*) د. راضى عبد الله عبد الحميد : كلية التربية فرع جامعة القاهرة بالفيوم .

(١) ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ، معجم البـــلدان ، تحقيق ، فريد عبد العزيز الجندى ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢) ناصر خسرو : أبو معين الدين المروزى ، سفر نامة ، ترجمة أحمد خالد البدلى ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

باب أنطاكية . أما المقدسى فقد ذكر(٣) أن لحلب سبعة أبواب ، باب حمص ـ باب الرقه ، باب قنسرين ، باب اليهود ـ باب العراق ـ باب دار البطيخ ـ باب أنطاكية ـ باب الأربعين « مسدود » .

أما عن قلعة حلب ، فقد صادف وصفها اهتماما كبيرا من المعاصرين(٤) فذكر ابن بطوطة أنها (شهيرة الامتناع ، بائنة الارتفاع، معدومة الشبه والنظير فى القلاع ، ننزهت حصانة أن نرام أو تستطاع، قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة ، منحوتة الأرجاء ، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء ، فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها ، وتسمى الشهباء وبداخلها جبلان ينبع منهما الماء ، يطيف بها سوران ، وسورها متدانى الأبراج) . هذا فى حين كان سكان المدينة ، يعتمدون فى شربهم على نهر قويق ، الذى كان يمد فى الشتاء وينضب فى الصيف، ومخرجه من قرية تدعى سنياب(٥) .

واذا ذكرت حلب فى التاريخ الاسلامى توارد على الخاطر اسم سيف الدولة الحمدانى مع الشاعرين اللامعين المتنبى(٦) وأبى فراس الحمدانى(٧) ، ذلك أن سيف الدولة اكتسب شهرته من الدور المجيد

---

(٣) المقدسى : أبو العباس أحمد بن يوسف ، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص ٢٣٦ .

(٤) ابن بطوطة : شرف الدين أبو عبد الله محمد ، تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، ص ٦٨ .

ـ ابن حوقل : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، ص ١٦٣ .

ـ ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى : رحلة ابن جبير ، ص٢٢٥،

(٥) ابن رسته : أبو على أحمد بن عمر ، الأعلاق النفيسة ، ج ٧ ، ص ٩١ .

ـ الاصطخرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، ص ١٦٣ .

ـ المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

ـ يذكر ابن حوقل ، ص ١٦٣ ، أن اسم النهر (أبى الحسن قويق) .

(٦) المتنبى : أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى المتنبى .

(٧) أبو فراس : الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدونى .

الذى لعبــه فى مقـــارعة البيزنطيين(٨) ، وهو الدور الذى أبرزه فى صورة البطل الذى توجت هامته أكاليل المجد ، مما جعله يحتل المقام الأول فى تاريخ حلب السياسى(٩) ٠

الأسرة الحمدانية :

وسيف الدولة هو : على بن أبى الهيجاء عبد اللـــه بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لجمان بن راشد ، وينتمى قومه الى تغلب احدى قبائل ربيعة ومن تغلب كانت بنو حمدان ملوك حلب(١١) ، وحمدان وهو المؤسس الأول لهذه الأسرة ينتمى الى بلدة تسمى « رباح » بجوار الموصل ، وكان أجداده الربعيون التغلبيون(١٢) قد تنقلوا شأن غيرهم من القبائل الأخـــرى ، من تهـامة الى نجـــد الى الحجاز الى أراضى ربيعة(١٢) الى ضفاف الفرات فى سهل الرقة الفسيح ، ثم نزل حمدان الى جوار الموصل فى رباح(١٤) ، وكان ذا مكانة عاليـــة بين قومه ،

---

(٨) ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبى الكرم ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٧ ، ص ٢٠٣ ، ٢٢٣ ٠

(٩) الثعالبى : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، جـ ١ ، ص ٢٧ ٠

(١٠) تنسب الى وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان ٠

ـ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ٠

ـ الأزدى : أبو بكر محمد بن الحســـن ، الاشتقاق ، تحقيق ، عبد الســـلام هارون ، ص ٢٠٢ ٠

(١١) القلقشندى : أ بو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صـــناعة الانشاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ ٠

ـ الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧ ٠

(١٢) القرمانى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ٠

(١٣) الدينورى ، أبو حنيفة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، جمال شيال ، ص ١٦ ، ٥١ الأزدى المصدر السابق ، ص ٣١٣ ٠

(١٤) القلقشندى ، نهاية الأرب فى معرفة أحوال العرب ، تحقيق على الخاقانى ، ص ١٧٠ ٠

ينظرون اليه بعين الاجلال والاكبار ، ومن عهده تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ أسرته المتواصل(١٥) ٠

سيف الدولة يؤسس دولته فى حلب :

أما سيف الدولة فقد ولد حوالى ٣٠٣ هـ ـ ٩١٥م فى مدينة ميافارقين(١٦) حيث ترعرع فى أحضان عصر زاخر بالفتن والاضطرابات بلغت فيه الدولة العباسية غاية ضعفها ٠ ويبدو ان الأسرة الحمدانية زجت بنفسها فى هذا الصراع حتى أصبح لها فى الموصل وأرض الجزيرة دولة، الا أنها دولة أحاطت بها العواصف ٠ وما كاد سيف الدولة يبلغ منتصف العقد الثانى من عمره ، حتى قتل والده أبو الهيجاء (٣١٧ هـ ـ ٩٢٩م) فى الدفاع عن الخليفة القاهر(١٧) ، وبعده أصبح سيف الدولة فى كنف أخيه الكبير ناصر الدولة الذى أعتبره أبا له ، وقد ادرك سيف الدولة انه اذا كان لابد أن يكون ملكا فليكن فى مكان آخر ، لا يزاحم فيه أخاه ناصر الدولة ، ولذا اتجه سيف الدولة الى الشام ، فانتزع حلب من الاخشيديين (٣٣٣ هـ ـ ٩٤٤ م)(١٨) وصارت تلك المدينة عاصمة لدولة شملت جند حمص وجند قنسرين والثغور الشامية وجزرية وديار بكر ٠ ولم يستطع سيف الدولة أن يستبقى دمشق فى حوزته ، فتركها للاخشيد على أن يدفع عنها الى سيف الدولة أتاوة سنوية ، أى أنه اعترف ضمنا بأن دمشق يجب أن تضم الى ممتلكات الحمدانيين(١٩) ، وقد تم

---

(١٥) درويش الجندى ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٨٦ ٠

(١٦) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، قالوا : سميت بميابنت أول من بناها ، وفارقين هو الخلاف بالفارسية ، يقال له بارجين ، لانها كانت أحسنت خندقها فسميت بذلك ٠

ـ ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ ٠

(١٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٩٣ ٠

(١٨) مسكويه : أبو على أحمد بن محمد ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تصحيح ونشر ، ف٠ آمدروز ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ١٩٩ ٠

(١٩) ابن العديم : كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق ، سامى الدهان ، ج ١ ، ص ١١٥ ٠

ذلك كله بفضل ما لقيه من معونة أخيه ناصر الدولة الذى أمده بالرجال والمال لفتح حلب ، وظل التعاون بين الاخوين وثيقا ، سياسيا وماليا ، حتى ان بعض المؤرخين(٢٠) عللوا ما أصاب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، من ضعف قواه العقلية فىأ واخر حياته بحزنه على أخيه سيف الدولة عندما توفى عام (٣٥٦ هـ - ٩٦٦م) ٠

أما سيف الدولة فقد بلغ من حبه واحترامه لأخيه ناصر الدولة أنه عندما لجأ اليه الأخير عام (٣٤٨ هـ - ٩٥٩م) فارا من معز الدولة أحمد ابن بويه ، أحسن سيف الدولة استقباله وبالغ فى اكرامه حتى قيل أنه نزع خفه بيده ٠ ولم تقف جهوده عند هذا الحد بل عمل على المصالحة بينهما(٢١) ، وأعاد أخاه الى امارته مرة أخرى بعد أن خرج منها على أسوأ صورة(٢٢) ، هذا فى حين ذكر آخرون(٢٣) أن سيف الدولة كان بينه وبين أخيه وحشة ، خاصة عندما وجـــد أن نجم أخيه يرتفع لدى الخليفة العباسى ، فأصابه الحسد وأخذ يؤلب من معه من الجنـــد فى واسط ، ضد أخيه الحسن ، وأطمعهم بنية اقامة مملكة مستقلة عن أخيه فى بلاد الشام ومصر ٠

ومهما يكن من أمر ، فانه ما كاد سيف الدولة يستقر فى حلب حتى

=

- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ ٠
- القرمانى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ٠
- سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، ص ٦٨..٠

(٢٠) ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٣ ، ص ٢٧ ٠

- الذهبى : شمس الدين أحمد بن أحمـــد ، العبر فى خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، ج ٢ ، ص ٨٧ ٠

(٢١) ابن العديم ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ ٠

(٢٢ نفس المصدر والصفحة ٠

(٢٣) مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ج ٧ ، ص ١٧١ ٠

- سامى الكيالى : المرجع السابق ، ص ٦٦ ٠

بدأ الصدام بينه وبين الروم ، ذلك أن العرب لما فتحوا الشـــام وبلغوا السفوح الجنوبية الشرقية لجبال طوروس وجدوها شديدة المناعة بسبب وعورتها وبردها ، ولذا توقف الفتح الاسلامى فى تلك الناحية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وهكذا ظلت الحدود بين الدولة الاسلامية ودولة الروم تميل نحو أرض الروم تارة ، ونحو أرض المســـلمين تارة أخرى حتى أقام سيف‌الدولة الحمدانى دولته على حدود الروم فأنشأ جيشا كبيرا ، ظل يحارب به الروم عشرين عاما ، من ذلك أنه أوغل أعوام (٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ هـ) فى بلادهم وغزا وسبى ، حتى كان على سبعة أيام من القسطنطينية ولكنه منى بهزيمة كبيرة عام (٣٥١ هـ ـ ٩٦٢م)(٢٤) أوقفت تقدمه ، فضلا عما كانت تقوم به القبائل العربية داخل دولته من ثورات وفتن بين الحين والآخر ، وهكذا ظلت حياة سيف الدولة جهادا وكفاحا ، اما مع الـــــروم واما مع المنتفضين عليه من القبائل .

وأخيرا توفى سيف الدولة عام (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦م) ، فتعرضت حلب بعد وفاته ، لتهديد الغزاة من روم وصليبيين طوال عـــدة قرون حتى حاصرها المغول عام (٧٠٠ هـ ـ ١٣٠٠م) لكنهم لم يفلحوا فى أخذها وبعد حوالى مائة عام استطاع تيمورلنك الاستيلاء عليها بعد معركة رهيبة فى منطقة (كليس) شمالى حلب . وكان أن أصبح الأتراك سادة الأناضول لا سيما بعد استيلاء محمد الفاتح ، على القسطنطينية عـام ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣م ، مما مهد للسيطرة العثمانية على بلاد الشام .

---

(٢٤) قيل أن الروم استولوا على حلب دون قلعتها ، بجيش كان تعداده حوالى مائتى ألف جندى ، وأستولوا على أربعة ملايين درهم من الفضة وآلاف البغـــال والحمير فضلا على الأفراس الحسان ، وثلاثة الاف درع ، وثلاثمائة حمل جمل من أقمشة الكتان وغيرها من المنقولات ، عـــــلاوة على نهبهم دار سيف الدولة خارج المدينة ، وقيل أيضا أنهم أسروا أبا فراس بن سعيد بن حمدان الذى كان متقلدا منبج فى ذلك الوقت .

- ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٠٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ .
- ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٣٣ .
- عبد الرحمن حميدة ، حلب المدينة التى لم تقهر ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

الأوضاع الاقتصـادية :

النشاط الزراعى : شـاء حســـن حظ الحمدانيين أن تكون غالبية الأراضى التى دخلت فى زمام امارتهم بحلب غنية فى انتاجها الزراعى ، ومواردها الطبيعية ، ويرجع الفضل فى ذلك الى نهر قويق الذى كان يجرى من شمالها الى جنوبها وغربيها ، فيروى البساتين الكثيرة التى تقع على ضفتيه(٢٥) والغنية بأشجار السرو والصـنوبر التى عرفت به حلب(١٦) منذ القدم ، وقد خلد الشـــعراء هــذا النهر لفرط صغره ، وجفافه صيفا حتى يكاد يكنس ، وفيضانه شتاء حتى يكاد يغرق المدينة ، وبلغ من اعجاب سيف الدولة به ، أن حـــول مجراه الى قصره العظيم الذى حاكى به قصور الخلفاء فى بغداد ، والذى بناه فى أرض «الحلبة» فى سفح جبل الجوش(٢٧) واذا كانت بلاد الشام بوجه عام قد اشتهرت بخصب تربتها ، وجودة مناخها فان تربة حلب بالذات جادت فيها زراعة أصناف عدة من الزروع والمحاصيل(٢٨) والفواكه وخاصة الكروم والبطيخ والتين والتفاح والزيتون والفستق والنارنج علاوة على العديد من أنواع الخضروات(٢٩) ٠

كذلك وجد فى أطراف الامارة الكثير من الغـــابات ذات النباتات

---

(٢٥) المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ ـ ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ ٠

ـ ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ ٠

(٢٦) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١١٥ ٠

(٢٧) نفس المصدر ، ص ١١٩ ٠

(٢٨) ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ص ٤٠ ٠

(٢٩) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ٠

ـ محمد كرد على ، خطط الشام ، جـ ٤ ، ص ١٦١ ٠

ـ آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ، ٥٥ ٠

ـ محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضـــارة الاســـلامية فى الشرق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ٠

والأشجار الكبيرة ، التى كان يطلق عليها « الزور » : وأكثرها شـــجر التوت(٣٠) ٠

ونستطيع من خلال ذلك النشاط الزراعى الذى حظيت به امارة حلب أن نقول أن ذلك قد انعكس انعكاسا ايجابيا ، على ارتفاع مستوى معيشة سكانها مما كان له الأثر الأكبر فى اهتمامهم بمظاهر الحياة الاجتماعية من وسائل تسلية واحتفالات فى شتى المناسبات ٠

مظاهر تقدم الصناعة :

من المعروف أن المصنوعات الاسلامية جابت أنحاء العالم منذ القرن الثانى للهجرة فاشتهرت دمشق بصناعة « الدمشقى » وبرعت الموصل فى صناعة « الموصلين » ، وحظيت تلك المنسوجات بتقدير كبير فى دول الغرب ، التى ظلت تعتمد اعتمادا كبيرا فى استهلاكها المحلى على تلك المنسوجات الشرقية ولا شك أن الأمراء الحمدانيين ، لعبوا دورا كبيرا فى ارتقاء الصناعة وازدهارها فى امارتهم ، وشاركهم الأغنياء فى ذلك لاهتمامهم بالرفاهية وما يتعلق بها من الحـــرص على اقتناء الثيـــاب والزجاج والعطور والصياغات ٠٠٠ الخ وقد اشتهرت حلب بالصناعات الزجاجية ، حيث كان ســـوق الزجاج بها كما يقـــول القزوينى(٣١) لا يستطيع الانسان مفارقته لكثرة ما يشاهد فيه من الطـــرائف والآلات اللطيفة التى تحمل الى سائر البلاد ، وبجانب ذلك اشتهرت حلب منذ القدم ، بصناعة المنسوجات خاصة الثياب البيض ، والحفية التى تنسب الى احدى كورها ، كما برع أهل حلب منذ القـــدم فى صناعة الشـــقق الحريرية والقطنية ، وهى قماش طوله تسعة أذرع وعرضه ذراع ، وقد تفنن الصناع فى صبغة وزخرفته ، وكانت تلك الثياب لباسا عاما(٣٢) هذا فضلا عما اشتهرت به من صناعة الشيلان القطنية والحريرية والزنانير

---

(٣٠) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٢١ ـ محمـد كـــرد على ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٣ ٠

(٣١) القزوينى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ ٠

(٣٢) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ٠

والكوفيات ، والمناديل الحريرية والمزركشة ، علاوة على التطريز(٣٣)٠ وبلغ من وفرة المنسوجات ، أن البيوت كانت تزين بستور ملونة تعلق على الجـــدران ، على حين زينت الأرض بسجاجيـــد وبســـط دقيقة الصنع(٣٤) ٠

النشـاط التجارى :

كانت حلب أهم مركز تجارى فى شـــمال الشـــام ، وقد اشتهرت بأسواقها وفنادقها العامرة ، وأخذت تصدر ما تصنعه من الخل والصابون الحلبى وماء الورد ، وزهرة القرنفل وغيرها(٣٥) وحازت أســـواقها المسقوفة أو « المدينة » كما يسميها الحلبيون ـ مثل سوق الجوخ ، سوق الحرير ، سوق الحبال ، سوق العطارين ـ سوق السراجين ، ســـوق القطن(٣٦) ٠٠٠ الخ ـ شهرة كبيرة ، وغطيت تلك الأســـواق بعقـود حجرية سميكة تبدو الأسواق تحتها وكأنها أنفاق نحتت فى الصخر ، وعند تلاقى سوقين أو أكثر قبة كبيرة تتوج مفترق الطرق ، وكأنها مسجد كبير ، علاوة على أبواب ضخمة مصفحة بألواح من الحديد تزين مداخلها(٣٧) هذا وقد نشط التبادل التجارى بين حلب وانطاكية فى مجال الذهب والفضة والحرير والجواهر والديباج المزركش والأقمشة المحلية ، وكانت تجارة حلب تلك تصل عن طريق الفرات الى أنطاكية التى عدت ميناء هاما بل أصبحت من أكبر الموانىء لتصدير بضائع الشرق وأداة اتصال بين أوربا وبلاد المشرق(٣٨) ٠

---

(٣٣) محمد كرد على ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣ ٠

ـ المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ ٠

(٣٤) يذكر ميتز ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ ، أن جميع البيوتات المتفرقة امتازت بثلاثة أنواع من السجاجيد ، أولها الستور ، وثانيها البسط ، وثالثها الأنماط تفرش على الأرض لتطأها الأقدام ٠

(٣٥) القزوينى ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ ٠

المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ ٠

(٣٦) عبد الرحمن حميدة ، المرجع السابق ، ص ٤٧ ٠

(٣٧) نفس المرجع ، ص ٣٥ ٠

النظام النقـدى :

أدى ازدهار المعاملات التجارية داخل حلب ، وتنوع الضرائب التى فرضت على التجارة ، الى ثراء أمراء الدولة وارتفاع مستوى معيشـــة رعاياهم ، وقد أستغلت تلك الثروة فى مد الطرق البرية لتسهيل نقـــل السلع ، وكثر عدد الصيارفة للقيام بمهمة الايداع والتحويل ، وساعد كل ذلك على قيام الحمدانيين بسك عملة خاصة بهم ، لما فى ذلك من مظاهر السيادة والاستقلال ، فضلا عن تنشيط التجارة والتبادل ٠

الدرهم الحمـدانى :

ضرب الحمدانيون نقودا لهم فى عدد من المدن شرقا وغربا ، وقد بدأوا ذلك عندما أصدر ناصر الدولة نقودا خاصة به فى عام (٣٢٠ هـ ـ ٩٤١م) عندما جعله الخليفة العباسى المتقى لله أميرا للأمراء(٣٩) وذلك بعـــد أن تخلص ناصر الدولة من ابن رائق بالقتل(٤٠) وما كاد ناصر الدولة يقوم بمهام منصبه الجديد كأمير للأمراء(٤١) حتى نظر فى أمر النقود المتداولة ، فوجد عيارها ناقصا ، ولذا أمر باصلاحها ، وتصفية الذهب والفضة،وأطلق عليها الدنانير الابرزية ، اشارة الى نقاوة معدنها. وبذلك أصبح الدينار يساوى ثلاثة عشر درهما(٤٢) بعد أن كان الدينار القديم يساوى عشرة دراهم فقط(٤٣) ، على أن ذلك لم يؤد الى نتائج ملموسة اذ وجد أن الصيارفة يربون ربا فاحشا فشـــدد عليهم وبدأ فى

---

(٣٩) الذهبى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، ابن تغرى بردى ، المصـدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ ٠

ـ الصولى ، أبو بكر محمد بن يحى ، أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، ص٢٢٨٠

(٤٠) ابن مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨ ٠

(٤١) الصولى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ٠

(٤٢) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ،ص٢٠٦٠

ـ ابن الجوزى ، جمال الدين عبد الرحمن ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ ٠

(٤٣) ابن الأثير ، أبو الحســن على بن محمـــد ، الكامل فى التـــاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ ٠

ـ الصولى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ ٠

ضرب دنانير جديدة ، حملت اسمه واسم أخيه سيف الدولة ، وضربت فى مدينة السلام « زمن الخليفة المتقى لله العباسى » ، وتوجـــد بالمتحف العراقى تحت رقم ١٠١٨ « مس » ثلاثة دراهم ضربت عام (٣٣٠ هـ ـ ٩٤١ م) فى نصيبين والنصوص واحدة فيها جميعا على الوجه التالى(٤٤):

الوجـــه	الظهـر
لا اله الا لله	اللـــه
اللـــه وحـده	محمـــد
لا شريك له	رسـول اللـه
أبو منصور بن (هو اسحاق ابن الخليفة العباسى المتقى)	المتقى باللـه
أمير المؤمنين	ناصر الدولة
سيف الدولة أبو الحسن	أبو محمـد

ويلاحظ أن الدرهم المذكور يحمل اسم الخليفة (أى أمير المؤمنين) واسم ولى عهده (أبى منصور) ثم سيف الدولة أبى الحسن (على) وناصر الدولة أبى محمد (الحسين) فالدرهم جامع للخلافة العباسية التى مقرها بغداد ، وتوابعها فى الموصل وحلب والجزيرة ، بدلالة أسماء الخليفة وولى عهده والأمراء كما جاء فى النص(٤٥) .

وفى عام (٣٣٣ هـ ـ ٩٤٤م) ، عقـب سمل توزون ، الخليفة المتقى لله وتسليم الأمر للخليفة المستكفى ، صارت الدراهم باسم الخليفة المستكفى الملقب بامام الحق فى بعض الدراهم ، مع ذكر ناصر الدولة وسيف الدولة .

وفى عام (٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م) تحت رقم ٩٩٣ (مس) ضرب حـــوارن :

---

(٤٤) مهاب درويش البكرى ، الدرهم الحمدانى المحفوظ فى المتحف العراقى ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ .

(٤٥) مسكويه ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٩١ .

الوجـــه	الظهـــر
لا اله الا	اللـــه
اللـــة وحـــده	محمد رســول اللـــه
لا شريك لـــه	صلى اللـــه عليه وسلم
سيف الدولة	المستكفى باللـــه
أبو الحســـن	ناصر الدولة أبو محمـــد

ويلاحظ هنا أيضا أن تلك الدنانير قد أضيف على وجهها الآخـــر (الظهـــر) كلمة صلى الله عليه وسلم بعد كلمة رسول الله(٤٦) فضلا عن اشتراك الأخوين بجانب الخليفة المستكفى بالله ، وبعد أن استقرت الأمور لبنى بويه فى بغداد ، خلع أحمد ابن بويه الخليفة المستكفى بالله ، وبايع أيا القاسم الفضل بن المقتدر ولقبـــه المطيع للـــه(٤٧) ، وضربت النقود فى كل من الرحبة ونصيبين ومصر والموصل والجزيرة وقصر شيرين وحلب ومدينة السلام وسمرقند وميافارقين عام ٣٣٤ هـ على النحو التالى :

رقم ١٠٣٣ (مس) ضرب الرحبة ٣٣٤ هـ

الوجـــه	الظهـــر
لا اله الا اللـــه	اللـــــه
وحـــده لا شريك له	محمـــد رســول اللـــــه
سيف الدولة	صلى اللـــه عليه وسلم
أبو الحســـن	المطيع للـــــه
	ناصر الدولة
ويظهر فى هـــذا الدرهم اشتراك سيف الدولة وأخيـــه ناصر الدولة بجانب الخليفة المطيع للـــه .	أبو محمـــد

---

(٤٦) ابن طباطبا ، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ٢١١ .

(٤٧) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ص ١٢٣ .

- عبد الجليل حسن عبد المهدى ، أبو فراس الحمدانى حياته وشعره ، ص ٥٧ .

وفى عام ٣٥٤ هـ ـ ٩٦٥م ، عندما زوج سيف الدولة ابنته ست الناس لأبى تغلب الحمدانى ، وزوج أبنيه أبا المكارم وأبا المعالى بابنتى ناصر الدولة ، ضرب لهذا الحادث دنانير على الوجه التالى(٥٥):

الوجـــه	الظهـــر
لا الـه الا اللـــه	أمير المؤمنين
محمد رســول اللــه	المطيع للـــه
أمير المؤمنين على بن أبى طالب	الأميران الفاضلان
فاطمة الزهراء ـ الحسن والحسين	ناصر الدولة وسيف الدولة
جبريل عليهم السلام	الأميران أبو تغلب وأبو المكارم

أما الدرهم الأخير فهو للأمير سعد الدولة أبى المعـالى الحمدانى الذى حكم حلب وتوابعها بعد وفاة والده سيف الدولة عام (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦م) ومع أن الحمدانيين ســنيون وكانوا يذعنون بالولاء الاسـمى للخلافة العباسية ، الا أن بعضهم وبعض أتباعهم ، كانوا يهادنون خلفاء مصر الفاطميين ويظهرون الميل اليهم .

وقد حكم الخليفة الفاطمى العزيز بالله واسم سعد الدولة موجودان على الدرهم الذى نشر صورته فانه يكون قد ضرب فيما بين (٣٦٥ هـ ـ ٩٧٥م) وهو عام تولى العزيز بالله ، و (٣٨١هـ ـ ٩٩١م) عام وفاة سعد الدولة ، ومن ذلك يتضح أن سعد الدولة ، كان أحيـــانا يظهر الطاعة للخليفة العزيز الفاطمي . والمؤسف أن تاريخ ضرب هذا الدرهم ومدينة الضرب مطموسان (٤٨) ، وهو على النحو التالى :

---

(٤٨) سمير شما ، درهمان نادران ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

الوجـــه	الظهـــر
لا اله إلا الله	(ضمن دائرة)
وحده لا شريك له	(محـ) مد رسو(ل)
ســعد الدولة	الله صلى الله (عليه)
أبو المعــالى	وعلى آله الإما
المدار الداخلى	م نزار أبو المنصو(ر)
(لله) الأمرين ... (مطموس)	العزيز بالله
المدار الخارجى ..	أمير المؤمنين
بسم الله ضرب .. (مطموس)	مدار مطموس ...
الوزن : ١ر٧٠ جم	القطر : ٢٢ ملم

والظاهر البارزة فى نقود الحمدانيين ، أنها كانت كثيرة سريعة التغيير ، ولعلهم كانوا يهدفون من وراء ذلك الى القضاء على تلاعب الصيارفة بعيار النقود(٤٩) هذا الى أن الظروف السياسية دفعتهم إلى ضرب العديد من العملات المختلفة ، ذكروا فيهـــا اسم الخليفة العباسى تارة والخليفة الفاطمى تارة أخرى .

الأوضاع الاجتماعية :

عناصر السيـكان :

تألف المجتمع فى ذلك العصر من عناصر وقوميات مختلفة ، وكان العرب يمثلون العنصر الأســـاسى فى هـــذا التشكيل ، الا أن مكانتهم وأرستقراطيتهم العسكرية قد اضمحلت ، وذلك عنـــدما جلب الخليفة العباسى المعتصم الأتراك من تزكستان عام (٢٢٠ هـ ـ٨٣٥ م) واعتمد عليهم اعتمادا كاملا خاصة فى الناحية الحربية ، والى جانت هؤلاء كان الفرس ، الذين لعبوا دورا هاما فى ظهور الدولة العباسية ، وكان لهم الحظوة خاصة فى العصر العباسى الأول ، غير أن هذا العنصر فقدأ هميته أيضا ، ولحق بهم مالحق باخوانهم العرب ، عندما أشتد نفوذ الأتراك ،

---

(٤٩) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٠٦ .
- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ .

وما أن حل القرن الرابع الهجرى ، حتى فرض الترك ثم الديلم أنفسهم على أحداث ذلك العصر ، وأصبحوا أصحاب الحظية والسلطان ، وقد نتج عن ظاهرة الاكثار من شراء الرقيق أن انضم الى تلك الجموع عناصر أخرى كالصقالبة والأرمن والكرج والزنج والروم ، علاوة على من جلبوا لفلاحة الأرض من النبط والأراميين(٥٠) .

ورغم ما وضح من عدم وجود انسجام ووفاق بين تلك العناصر المتباينة لاختلاف المشارب والعادات ، الا أن ذلك لم يقف عقبة أمام بعض الحالات التى خالفت ذلك وخرجت عن قاعدة هذا النفور ، وهكذا استمر اقبال الخلفاء على الزواج من أعجمياتحتى أن الكثير من أمهات الخلفاء فى العصر العباسى الثانى ، كن أمهات ولد « أعجميات » ومنهن من كان له تأثير واضح وكبير فى مجريات الأحداث السياسية أبان تلك الفترة .

أما العناصر السياسية فى بناء المجتمع الحمدانى فكانت على الوجه التالى :

العرب :

شكل العرب غالبية المجتمع الحمدنى ، وقد زخرت بلاد الشام فى ذلك العصر بالعديد من القبائل أمثال : عامر بن صعصع وعقيل وقشير والعجلان وأولاد كعب بن ربيعة بن عامر ، واستعان سيف الدولة ببعضهم عند مجيئه إلى حمص لملاقاة جنود ابن طغج الاخشيد(٥١) بمرج عذراء(٥٢) الا أن تلك القبائل أثارت أحيانا القلاقل واشتبكت مع الحمدانيين فى كثير من الحروب التى تردد ذكرها فى شعر أبى الطيب وأبى فراس(٥٣) .

---

(٥٠) المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
- جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

(٥١) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٥٢) مرج عذراء : على خمسة وعشرين كم من الشمال الشرقى لدمشق على مقربة من طريق حمص الى الشام .
- ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٢٥ .

(٥٣) ابن خالوية ، أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، ديوان أبى فراس، ص١٥.

ورغم تلك القلاقل والاشتباكات ، فقد وضحت العصبية القبلية العربية ، عند اشتباكهم مع العصبية التركية أو الفارسية ، ذلك أن العرب ، ممثلين فى دولة بنى حمدان دأبوا على طرد النفوذين التركى والفارسى ، واستخلاص السيادة لهم ٠

الأتـــراك :

ظهر العنصر التركى على مسرح الدولة الاسلامية منذ وقت مبكر يرجع الى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور حيث وصل بعضهم الى امارة الأناضول فى عهد هارون الرشيد بل ولى بعضهم الثغور الشامية ، مثل أبو سليم فرج الخادم صاحب الدار بأنطاكية ، فكان أول قائد تركى قاد الجيوش العباسية لحرب الروم(٥٤) على أن السيطرة الحقيقية لهذا العنصر ظهرت فى عهد المعتصم ، الذى اعتمد عليهم اعتمادا تاما فى الجيش واتخذ منهم حرسا خاصا له ، وأسند اليهم كذلك العديد من مناصب الدولة وآثرهم على الفرس والعرب ٠

ونظرا لما تميز به هؤلاء الترك من القوة وصحة البدن ، نظرا لطبيعة بلادهم وبداوة معيشتهم ، وحبهم للجندية والفروسية وحسن القتال ، أصبحوا عنصرا هاما فى الدولة الحمدانية ، فاستعان بهم الحمدانيون فى الجيش ، وكونوا منهم الغلمان الذين أعتمدوا عليهم كثيرا فى حروبهم ، واذا تتبعنا أخبار حروب الحمدانيين ، نجد أن خيرة قوادهم كانوا من الأتراك منهم نجا الكبير (الكاسكى) الذى أرسله سيف الدولة الى حران عام (٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) لطلب هبة الله ابن أخية ناصر الدولة الذى وثب على ابن دنجا النصرانى غلام سيف الدولة وقتله ، فلما قرب نجا من المدينة ، هرب هبة الله الى والده الحسن فى مدينة الموصل ، فاستولى غلام سيف الدولة على حوران وفرض عليهم الضرائب ، وأنزل بهم الظلم والجور(٥٥) ، ثم سار الى ميارفارقين(٥٦) وقصد

---

(٥٤) البلاذرى ، أبو الحسن أحمد بن يحى ، فتوح البلدان ، تحقيق ، صلاح المنجد ، جـ ١ ، ص ١١٩ ٠

(٥٥) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٨ ٠

(٥٦) ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٧٣ ٠

بلاد ارمينية وأخذ البلاد التى كان استولى عليها أبو الورد مثل خلاط وملاذكرد ومنوش وغيرها(٥٧) وأظهر العصيان على سيف الدولة فشق عليه ذلك ، فخرج اليه ففر هاربا أمامه ، بعد أن ترك ما سبق الاستيلاء عليه الا أن أخا لنجا استأمن له فأعاده الى عمله(٥٨) وظل فى خدمته حتى قتل على يد غلام لسيف الدولة اسمه « ثبجاج »(٥٩) ...

ومن هؤلاء أيضا (قرغوية) الذى ولاه سيف الدولة على حلب عندما خرج للفداء عام (٣٥٤ هـ ـ ٩٦٥م) وبعد وفاة سيف الدولة ظل (قرغويه) فى خدمة سعد الدولة وشاركه فى القضاء على « أبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان لأنه أراد الاستقلال بحمص ورفض تسليمها لقرغوية(٦٠) فأمر أحد غلمانه وأوعز اليه بالتركية فقتله وحمل رأسه الى سعد الدولة (٣٥٧ هـ ـ ٩٦٧م)(٦١) وقيل ان سيف الدولة عز عليه ذلك فقتل قاتله وفى العام التالى ٣٥٨ هـ ـ ٩٦٨ م) حالف قرغوية أهل حلب على سعد الدولة ، وتقرب اليهم(٦٢) ولما دان له الأمر قطع الدعاء لسعد الدولة ، وشاركه بكجور الأمر ، ودعى لهما على المنابر ، الا أن سعد الدولة بمساعدة زهير غلام والده سيف الدولة « بمعرفة النعمان »(٦٣) استطاعا اقتحام حلب على رمضان من نفس العام ، وحاصروا قرغوية وبكجور الذين استعانوا بالروم بعد انصراف العرب عنهم(٦٤) وفى عام ٣٣٦ هـ ـ ٩٧٦م) قبض بكجور على قرغوية وحبسه

---

(٥٧) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

(٥٨) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٥٩) مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

ـ ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ :

ـ ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

(٦٠) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ .

(٦١) القرمانى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٦٢) محمد كرد ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٦٣) بلدة بين حلب وحماه كثيرة التين والزيتون ـ القرمانى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ :

(٦٤) الروذاورى ، ابو شجاع محمد بن الحسين ، ذيل كتاب تجارب الأمم ؛ تصحيح هـ . ف آمدروز ؛ ص ٢١١ .

فى قلعة حلب وسلم القلعة لأبى المعالى ، الا أن بكجور أساء السيرة فى دمشق وفى النهاية عزل على يد العزيز بالله بوشاية من الوزير يعقوب بن كلس(٦٥) . ولم يستقر الأمر لسعد الدولة فى حلب الا عام ٣٦٧(٦٦).

أما فى عهد سعيد الدولة (٣٨١ ـ ٣٩٢ هـ ـ ٩٩١ ـ ١٠٠٠م) فقد برز من هؤلاء القواد الأتراك أبو محمد لؤلؤ السيفى ، الذى استطاع أن يزوج سعيد الدولة من ابنته وأصبح له الأمر ، حتى قيل أنه اذا خرج سعيد الدولة لمحاربة الروم أقام لؤلؤ بحلب ، واذا خرج لؤلؤ أقام سعيد الدولة . وتذكر المصادر(٦٧) أن لؤلؤا حرض احدى الجوارى لدس السم لابنته وزوجها سعيد الدولة فماتا جميعا ، وفى عام (٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٢م) ملك لؤلؤ السيفى ، ولدى سعيد الدولة أبا الحسن عليا وأبا المعالى شريفا الحكم ، الا أن تدبير أمور الدولة كان بيده وبمعاونة ولده مرتضى الدولة أبى نصر منصور بن لؤلؤ ، الذى كانت بينه وبين صالح بن مرداس عام (٤٠٢ هـ ـ ١٠١١م) وقعة انتهت بهزيمة ابن مرداس وأسره(٦٨) .

ويبدو أن كل أمير اتخذ له حرسا خاصا من هؤلاء الأعاجم ، حسب العادة المتبعة آنذاك ، فنجد الغلمان السيفية والسعدية ، نسبة الى الأمير الذى يقتنيهم ، وكان خير مثال على ذلك ، كما أسلفنا « قرغوية » الذى تلقب بالحاجب وبكجور الذى تلقب بالأمير ، وكتبت أسماؤهم على السكة عام (٣٥٨هـ ـ ٩٦٨م) .

---

(٦٥) ابن الأثير ، المصد السابق ، ج ٧ ، ص ٤٣٣ .

(٦٦) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٦٧) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

- ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

- الروذراورى ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ .

٦٨) لما تم لأبى لؤلؤ ، خطب للحاكم صاحب مصر فلقبه مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم ، فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب ودخلوا حلب ، فأمر ابن لؤلؤ باغلاق الأبواب والقبض عليهم وقبض على مائة وعشرين منهم ابن كرداس :

- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

- محمد كرد على ، المرجع السابق ، ص ٢١١ ، ٢٢٠ .

الأكـــراد :

هم سكان القسم الأعلى من الجزيرة ، حيث شكل هؤلاء عنصرا هاما من عناصر السكان ، واشتهروا بقوة أبدانهم وشدة بأسهم وبداوتهم التى اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة وقد اشـــترك هؤلاء ، فى جميع الثورات والقلاقل التى نشبت فى كردستان طول العصرين الأموى والعباسى ٠

وقد فطن الحمدانيون الى قوة الأكراد ، فحالفوهم(٦٩) وتزوج حمدان جد الأسرة امرأة كردية ، وحذا حذوه حفيـــده ناصر الدولة ، فتزوج من فاطمة بنت أحمد الكردية ، التى كان لها تأثير كبير عليه ، بل قيل أن سيف الدولة كان من أم كردية ولهذا السبب خطب له أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردى ، صاحب أذربيجان ، خاصة أن سيف الدولة قد أنجده عام (٣٤٤هـ ـ ٩٥٥م) بعد أن هزمه السلار المرزبان ، فقصد سلماس بمعاونة بعض الأكراد وملكها فى وقت كان السلار غائبا بناحية باب الأبواب ، مشغولا بمن خرجوا عليه(٧٠) ٠

وما أن بدأ الوهن يدب فى جسم الدولة الحمدانية منذ عام (٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م) خلال حكم سعد الدولة ، حتى بدأ هؤلاء الأكراد يسيطرون على ميافارقين وأرزن وديار بكر ، وكونوا امارة ذات بلاط زاهر(٧١) ٠

الديـــلم :

وهم من الشعوب التى سكنت الجنـــوب الشرقى لبحـــــر قزوين وأشتركت فى الثورات والفتن الداخلية التى كانت قد اندلعت بشدة فى ذلك الوقت ، فانضم هؤلاء بزعامة الحســـن بن الأهوازى(٧٢) ٠ الى

---

(٦٩) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١٢ ٠

(٧٠) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٦١ ٠

(٧١) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ ٠

ـ ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ ٠

(٧٢) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ويذكر ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ انه ظهر متمرد آخر فى أنطاكية يسمى دزبر ٠

رشيق النسيمى(٧٣) عام (٣٥٤هـ ـ ٩٦٥م) عندما خرض الأنطاكيين على الثورة وسلم طرسوس الى البيزنطيين ، وسار بهم الى حلب يريد انتزاع حلب من قرغوية غـــلام ســـيف الدولة الذى ذافع عنهـــا دفاع الأبطال(٧٤) لم يقف ســـيف الدولة ، مكتـــوف اليدين فانقض عليهم وهزمهم ، ودافع عن حلب دفاع المستميت ، حتى أن الجيوش البيزنطية ظلت تعبث وتفسد مدة خمسين يوما فى الضواحى ، دون أن تستطيع دخول المدينة(٧٥) ، على أن بطولة هذا الأمير توقفت عند ذلك الحد اذ عاجله المرض ، وما زال يدافع ويقاوم حتى وفاته بعد أن قضى نصف عمره فى ابعاد الروم من حدود آسيا الصغرى(٧٦) .

أهل الذمـــة :

فاذا تركنا الجانب العنصرى فى بناء المجتمع ، ونظرنا الى ذلك المجتمع من الناحية الطائفية الدينية ، فاننا نجد الى جانب الغالبية من المسلمين جماعة من أهل الذمة تمتعوا بحياة مطمئنة فى ظل الحمدانيين ، رغم العداء الصليبى ، الذى تمثل فى هجمات الروم على مدينة حلب ، وما كان يحمل فى ثناياه من روح التعصب ، ولكن المسلمين واجهوا ذلك التيار بسماحة بالغة ، فعاش هؤلاء فى أمن وطمأنينة ، داخل مزارعهم ومنازلهم ، محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، وقد كون أهل الذمة أقلية كبيرة ، وكان أكثر الأطباء منهم ومن الثابت أن طبيب ســيف الدولة كان نصرانيا ، وأشتهر من هؤلاء الأطباء عيسى الرقى ، ظافر ابن جابر السكرى ، جابر بن موهوب ، سكرة الحلبى(٧٧) وكان منهم أيضا المهندسون والرياضيون وعلماء الفلك وأشتهر منهم ديونيسيوس بطريق اليعاقبة ، قيس المارونى وغيرهم من العلماء ، وكان ملكون السريانى ؛

---

(٧٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ .

(٧٤) مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٦ ؛ ص ٢١٤ .

(٧٥) ابن كثير ، المصدر السابق ؛ ج ١١ ، ص ٢١١ .

(٧٦) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٧٧) ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . ج ٣ ، ص ٢٣٣ ؛ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ .

سفيرا لسعيد الدولة لدى امبراطور الروم(٧٨) أما اليهود فقد احترفوا التجارة ومارسوا شتى أنواعها ، وخاصـــة تجارة المجوهرات(٧٩)، والصرافة والصياغة ، ولذلك وصفوا بالملوك . وقد تركز النصـــارى فى مدينة ميافارقين التى كانت تزخر بالكنائس والأديرة ، فى حين كان معظم اليعاقبة بأنطاكية(٨٠) .

ومن مظاهر التسامح مع أهل الذمة أن كثيرا من الخلفاء والأمراء اتخذوا كتابا من النصارى ، وذلك لبراعتهم فى الأمور الادارية ، وكانوا يلقون احتراما من المسلمين(٨١) وترك لهم الاحتفال بأعيادهم بمنتهى الحرية ، بل شاركهم المسلمون ، فى الجانب الاجتماعى لتلك الأعياد ، فكان الجميع يلتقون فى الكنائس وأماكن الاحتفالاتعلى مودة تامة(٨٢) :

طبقات المجتمع :

ساد المجتمع الاسلامى ، خلال القرن الرابع الهجرى ، طبقتان : طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء .

تشمل الطبقة الأولى : الخلفاء والأمراء ، وكبار رجالات الدولة ، والتجار الأغنياء ، وملاك الأراضى الزراعية :

أما الطبقة الثانية ، فكانت خليطا من الصناع والفـلاحين ورجال الجيش ، وصغار الباعة ، وصغار الموظفين ، علاوة على البدو وجماعات الرقيق .

وكان الحمدانيون من أغنى أمراء المسلمين فى القرن الرابع الهجرى

---

(٧٨) ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .
(٧٩) المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
(٧٩) أ.س ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة : حسن حبشى ، ص ١٠١ .
(٨٠) المسعودى ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .
(٨١) ترتون ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٨٢) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ج ٢ ز ، ص ٢٣٦ .
ـ ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .

لأنهم اعتبروا أنفسهم ، أصـــحاب الأرض بما تضـــمه من زرع وضرع ومواطنين(٨٣) وهناك العديد من الأدلة التى تثبت هذا الثراء ـ كان سيف الدولة يستولى على أرث من يموت بمساعدة قاضيه أبو حصن على ابن عبـد الملك ، الذى كان يقـــول « كل من هلك فلســـيف الدولة ما ترك »(٨٤) .

كان الأمير الحمدانى ، هو المشرف على الادارة والماليـة والحرب ويولى الموظفين ويعزلهم(٨٥) .

كان سيف الدولة يجلس فى قصره « الدارين » الذى يضاهى قصور الخلفاء لابسا تاجا مرصعا بالجوهر ، وقيل أن الروم عندما دخلوا حلب عام (٣٥١هـ ـ ٩٦٢م) طفر الدمستق بهذا القصر ، فوجدوا به ثلاثمائة بدرة من الدراهم ، وثلاثمائة حمل من البز والديباج ، وخمسين حملا من أوانى الذهب والفضة ـ وألفا وأربعمائة بغلا ومن خزائن السـلاح مالا يحصى(٨٦) .

بلغ ما جاد به سيف الدولة ، سبعمائة ألف ألف دينـار ، عدا ما أنفقه فى حروبه وشئون دولته(٨٧) .

وجبى الحمدانيون الخراج بطريقتين ، المحاسبة والمقاسمة ووصلت نسبة الخراج ، فى بعض الحالات الى خمسين فى المائة أى نصف قيمة الغلة(٨٨) التى تنتجها الأرض .

---

(٨٣) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٨٤) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٨٥) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٨٦) المسعودى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

ـ ابن العماد الحنبلى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

ـ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢١٣ .

(٧٨) مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٨٨) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

وقد أكثر الأمراء من اقتناء الرقيق والجوارى ، من ذلك أن سيف الدولة ركب مرة من داره ومعه ألف غلام مملوك بألف جوشن مذهب على ألف فرس عتيق ، وكان فى قصره كثير من الحظايا والجوارى(٨٩) ٠

وكان أفراد طبقة الخاصة الأغنياء فى حلب يعيشـــون فى منازل رفيعة يحاكون الحكام ٠ وكانت تحيط بتلك المساكن الحـــدائق الغناء الحافلة بالورود والياسمين والبنفسج والأقحـوان وغيرها من الأزهار ٠ وكان هؤلاء يقطعون أوقات فراغهم ، بمختلف وسائل التسلية ، ومنهـا حفلات الشراب ، وتطارح الشعر وسماع الغناء ولعب الشطرنج والنرد وغير ذلك(٩٠) ، وكانت موائدهم تزخر بالعديد من صنوف الطعام ، وقد ظن هؤلاء أن العامة أحيانا ، يدعمون نفوذهم فكانوا يعملون على استرضائهم بأبسط أساليب السخاء ، حيث يمدون لهم الأسمطة ويدعونهم اليها فيجتمع الآلاف منهم حولها على مدار اليوم فى أماكن متفرقة(٩١)٠

أما العامة على كافة مستوياتهم ، فكانوا اذا تطلعوا الى شىء من الرفاهية والثراء ، التمسوا ذلك : لدى الأمراء والأغنياء فالعلماء التمسوه فى خدمتهم ، والشعراء وجدوه فى مديحهم ، والتجار سارعوا فى عرض ما يقع بحوزتهم من نفيس الجواهر ، والصناع اذا أحسنوا صناعة فهؤلاء مقصدهم(٩٢) ٠ والواقع ان العامة كانوا يعيشون فى ضنك من العيش ، فقل أن يجدوا الكفاف لانخفاض مستوى المعيشة فالمزارعون « الأكره » الذين كان يتألف منهم معظم السكان كان معظمهم من أهل الذمة وهؤلاء غالبا ما كانوا يسكنون القرى ويعملون بحرفة الزراعة ومن أسلم منهم كان ينزل الى المدن ٠ وبجانب هؤلاء عاش الصناع يعملون فى صناعاتهم والاتجار بها(٩٣) ٠

وفى ظل هذه الأوضاع ســـاد الزهد ، وأحس غالبيتهم بأن نعيم

---

(٨٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢ ٠
(٩٠) عبد الجليل حسن ، المرجع السابق ، ص ٥٦ ٠
(٩١) جورجى زيدان ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٩٠ ٠
(٩٢) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٩ ٠
(٩٣) آدم ميتز ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ، ٣١٠ ٠

الدنيا زائل وأنه اذا جرم الدنيا فليطلب الآخرة ، كما انتشر الدجـــل والاعتقاد فى السحر والبحث عن الكنوز المخبوءة ٠

ومع ذلك ، فقد وجدت جماعة من المقربين من الخاصة مثل كبار التجار والبارزين من العلماء ، وقد اختص كبار التجار ببيع المجوهرات والمصنوعات والثياب الفاخرة ، ومنهم من طافوا العـــالم برا وبحرا ، ترويجا لتجارتهم التى درت عليهم الملايين من الدنانير ٠ أما المبرزون من العلماء ، فقد اتصل بعضهم بالأمراء ونالوا بعض مناصب الدولة ، كالقضاء وغيره من المناصب(٩٤) ٠

مجالس الأنس والطرب والولائم :

على الرغم من الحروب الطاحنة على حدود الدولة والفتن الداخلية الا أن الدولة الحمدانية حفلت بمجالس اللهو والمجون ، وقد عمد الأمراء الحمدانيون وغيرهم من عليـــة القـوم ، الى اقامـة تلك المجالس فى قصورهم ٠

وكانت تلك المجالس عامـــرة ، بألـــوان من الطعام والشراب ، والشهيرات من القيان ، وكبـار المطربين ، كما كان كبـــار الشـــعراء والأدباء يحضرون تلك المجالس :

وقد أطنب شعراء الحمدانيين في وصف الخمر ومجالسها وأدوات شربها ، وحاناتها والندمان والغلمان ، مما يدل على انتشار عادة الشرب فى مجالس حلب وحاناتها التى كانت على ما يبدو كثيرة يديرها أهل الذمة ، ويقصدها الأدباء والظرفاء ليلا ، حيث يتمادون فى اللهو ، ولم ينس هؤلاء فى أشعارهم وصف الساقى والساقية بل جمعوا بين الخمر ووصف أماكن الشرب ولا سيما الأديرة فى كثير من الأحيان(٩٥) ٠

---

(٩٤) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ٠
- جورجى زيدان ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨ ، ٥٠ ٠
(٩٥) ابن خالويه ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ٠

وقد أولع الحمدانيون بالموسيقى والغناء(٩٦) ، وكان سيف الدولة عندما ينتهى من عناء الحروب ، يخلد الى الراحة ، وتطيب نفسه الى السماع الجميل ، وقد ضم بلاطه الفارابى أكبر موسيقى اسلامى وقيل أنه أول مخترع للقانون وضم بلاطه أيضا ساردا العواد الذى كانت له شهرة كبيرة بضرب العود(٩٧) .

ومن مطربيه رجل يسمى الهنكرى ، ومغنية يسحره صوتها عرفت بالجيداء ، ولعب هؤلاء دوراً كبيرا فى ذيوع الطرب فى هـذا الوقت بحلب ، وفى ادخال البهجة والسرور على قلب سيف الدولة ، كما كان يطيب له أن يسمع جيداء تلك فى كلمات من نظمه ، حيث تقول(٩٨) :

يا طول شوقى اذا قالوا الرحيل
ويـا بلائى منـه اذا وقـدا
أضـنانى الحب اذ تعـرض بـى
مـا قتـل الحب هـكذا أبـدا

وقد ذكر الشعراء فى ثنايا شعرهم اسماء بعض آلات الطرب آنذاك مثل العود والطنبور(٩٩) والمزهر والناى .

وقد وصف الوأواء الناى والعود اذ يقول(١٠٠):

فالنـاى بيـدى أنينـا يشـجي وللعـود ضـرب

---

(٩٦) قال الفلاسفة (ان النغم والأغانى فضيلة شريفة قد تعذرت عن المنطق ، ليست فى قدرته ، فلم يقدر على اخراجها ، فأخرجتها النفس ألحانا فلما أظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها) .
ـ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٢١ ؛
(٩٧) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
(٩٨) فايد العمروسى ، الجوارى المغنيات ، ص ٢٥٥ .
(٩٩) قيل أن أول من غنى فى الاسلام بالطنبور (أحمد بن أمامه الهمذانى قرين أعشى همدان ـ الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، الوافى بالوفيات ، ج ٦ ، ص ٢٥٧ .
(١٠٠) فايد العمروسى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

أما أبو الفتح كشاجم فقد وصف الطنبور بقوله(١٠١) :

ممنطـــق الخصـــر أجـــوف جيـــد ضـــعف ســـائره
لفظـــه لفـــظ عاشـــق يشـــتكى هجـــر هاجـــره
ذو لســـــانين فوقـــــه عـــــدلا مـــن مقـــداره

وظهرت خلال ذلك جماعة من الظرفاء والندماء ، عاشت قريبة من الأمراء وذوى النفوذ ، وكانت مهمتهم ادخال السرور والبهجة فى قلوب هؤلاء ، حيث كانوا على درجة كبيرة من سرعة البديهة وحضور الخاطر، عالمين بكل ما يحب الأمراء من الجوهر النفيس ، والأنواع الممتازة من الطيب والفراش ، والخيل والسلاح ، وسائر ما يهدى الى هؤلاء الأمراء فى مجالسهم ، التى يسودها اللهو والطرب ، أو فى أوقات خلودهم الى الراحة والاستجمام ، وهناك صفات وجب أن يتحلى بها هؤلاء ، خاصة عندما يكونون فى حضرة الأمراء وعلية القوم أوردها لنـــا كشاجم « فى كتابه أدب الندماء(١٠٢) .

وكان لكثرة الجوارى والغلمان أثر واضـح فى ازدياد الانحـــلال الخلقى فى مجتمع الحمدانيين ، الأمر الذى ساعد على ، انتشار ظاهرة شرب الخمر بلا رادع ، وما أنتجه الشعراء من شعر لم يبال بالقواعـــد الدينية والأخلاقية المتعارف عليها فى مجتمع اسلامى ، وانما زخر شعر هؤلاء أيضا بالتغزل بالجوارى والغلمان ، ووصفوا مجالسهم فى الحانات والدور والزيارات الليلية الماجنة ، التى قام بها أولئك للغلمان والجوارى، وقيل أن الأديرة شهدت الكثير من ذلك النشاط الماجن ، وربما يرجع ذلك الى تعدد الأديرة وكثرتها ، وربما لتطرفها فى أماكن نائية بعيدة عن الرقابة الفعلية ، أو ربما نقلت هذه العادة من المجتمع الفارسى والهندى والرومى ، التى كانت فيه منتشرة بدرجـــة كبيرة ، خاصـــة عند بنى بويه(١٠٣) .

---

(١٠١) الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

(١٠٢) كشاجم ، أبو الفتح محمود ، أدب الندماء ولطائف الظرفاء ، ص ١٧ وما بعدها .

(١٠٣) مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ١٧٧ .

أما عن ألوان الطعام فكانت متعددة وكثيرة منها على سبيل المثال ما كان متحببا وتحت طائلة علية القوم ، كالحملان المشـــوية والجـداء والفراريج والحمام ، والمقلوات فى الطواجن والسمك ، واعتبر الدجاج دعامة السماط ولذلك كان سعره مرتفعا ، وكان الدجاج يسلق ويقطع ، ثم يعرق بالسيرج « زيت السمسم » ، ويضاف اليـــه الكثير من أنواع البهارات كالكزبرة والمستكة(١٠٤) .

ولم يفت السرى الرفاء أن يتغنى فى ذلك بقوله(١٠٥) :

دجاجـة فى شـبه الســمند تليـــدة وفخـــرها بالهنـــد
عظيمـة الزور بصـدر نهـد أجريت منها فى مجال العقد
صـب عليها اللوز مثل الزبد وغليت بعـــد بمـــاء الورد

ومن الحلوى ، السمبوسة والمهلبية والكشكية (ماء الشـــعير الذى يعجن باللبن والجوز واللوز) والتمر . ومن أنواع الفاكهة ، السفرجل والبطيخ والتفاح والعنب الرازقى والرمان . ومن المشهيات ، السلطة الحصرمية والعدسية ، علاوة على البيض والجبن والزيتون والباذنجان. وكان أمراء بنى حمدان يستشيرون الأطباء فى الأطعمة التى تحافظ على صحتهم ، وقيـــل : ان ســـيف الدولة كان يستدعيهم اليه أثنـــاء تناول الطعام(١٠٦) .

ونتيجة لهذا البذخ والاسراف فى تناول الطعام نوعا وكما ، كثرت الشكوى من أمراض القناة الهضمية، كالقولنج وتلبك المعدة ، والدوسنتاريا

---

(١٠٤) حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٦٣٠ .
(١٠٥) ديوان السرى الرفاء ، ص ٩٥ .
(١٠٦) الثعالبى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
كان سيف الدولة اذا أكل الطعام حضر على مائدته أربعة وعشرون طبيبا ، وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين ، ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم وكان من جملتهم عيسى الرقى المعروف بالتفليسى وكان يأخذ أربعة أرزاق رزقا بسبب الطب ورزقا بسبب النقل ورزقين بسبب علمين آخرين . ابن ابى أصيبعة عيون الانباء السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

وغيرها من الأمراض التى تسببها كثرة تناول اللحوم ؛ كالنقرس ؛ وقد راح ضحية هذه الأمراض الكثير من الأمراء(١٠٧) أما عن أطعمة العامة فكانت تتألف من أكلات شعبية كاللحم والخبز والسمك ومنه المشوى والمقلى والمطبوخ ، والهريسة من الحلويات والعصيدة ، وكانت تصنع من التمر مضافا اليه بعض السكر أو العسل ، والثريد ، ويصنع ، من المرق واللحم ، وقد يضاف اليه الحمض ، وكان الأرز يخلط باللبن والسمن والسكر ، ومن تلك الأكلات الشعبية أيض االرؤوس والأكارع وكانت تباع فى الأسواق اما مطبوخة أو نيئة ، أما الفاكهة فلم تختلف كثيرا عما كان يتناوله علية القوم ، ويزيد فى قيمة ما يقدم من الطعام ما يضاف اليه من المسك والعنبر والزعفران والقرنفل وغيرها .

وسائل التسلية :

تعددت وسائل التسلية فى المجتمع الحمدانى الذى حظى بالثراء وحفل بالشعراء والظرفاء فكان لابد من شغل أوقات الفراغ ، وخاصة أنهم كانوا لا يشغلهم شاغل ؛ ولا يرهقهم عمل . ومن وسائل التسلية عدد من الألعاب منها : ـ

النـــرد :

وعرف هذا النوع من اللعب فى عهد الباهبوذ بن البرهمى(١٠٨) وجعل ذلك مثالا للمكاسب ، وأنها لا تنال بالكيس ولا بالحيل ، ويستعمل فى اللعب بها ثلاثون حجرا ، لعدد أيام الشهر ، وفصان ، مثالا للقدر وتنقلية بأهل الدنيا ، على رقعة رسم ، اثنا عشرة منزلا أو أربعة وعشرون منزلا ، وأن الانسان يلعب بها فيبلغ بأسعاد القدر اياه ، فى مراده باللعب بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره ، الا اذا أسعده القدر(١٠٩) .

---

(١٠٧) حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٦٣٥ .
(١٠٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٨٠ .
(١٠٩) نفس المصدر والصفحة .

وقد ذم الشاعر كشاجم النرد بقوله(١١٠) :

أيهـــا المعجب المفاخـر بالنـرد ليزهى بـــه على الإخـــوان
قد لعمرى حرصـت جهدى علـى ليت كـذا لو لـم يأتك الغصـان
واذا جـــاءت القضـــاة بحكم لم يحـد عن قضـائها الخصمان

الشـــطرنج :

صنع الشطرنج فى عهد بلهت بن دبشليم ، فقضى بلعبها على النرد وقد لعب هذا الملك بالشطرنج مع حكمائه وقد أخذها العرب عن هؤلاء، وأتخذت أدواته من العاج ، وأشكاله على صور الحيوان ، وكل قطعة منه كالشبر فى عرض ذلك بل أكثر ، ويلعب على رقعة حمراء مربعة من الأدم ، وكان الأغلب على الهنود القمـــار فى لعبهم بالشطرنج ، على الثياب والجواهر ، وربما أنفذ الواحد منهم ما معه ، فيلعب فى قطع عضو من أعضاء جسمه(١١١) .

السـبـاق :

ومن أنواع التسلية أيضا ما كان يعقد من ســباقات بين الحمام ؛ حيث كانت هواية محببة ، بين الخاصة والعامة ، الا أنها حوربت فى بعض الأحيان ، عندما تكون مقلقة لراحة الناس ، لمـــا ينتج عنها من الصياح ورمى الأحجار ، وسقوطها على أسطح المنازل(١١٢) . وكان سباق الخيل ، من أحب ألوان التسلية خاصة عنـــد الأمراء وكبار رجال الدولة ، وقيل أن الفقهاء أباحوا أيضا هذا اللون من الرياضـــة ، على ألا يكون وسيلة للحصول على المال ، وكان أنتشاره دليلا على تهيئة الناس للاستعداد للحرب ، وكان لسيف الدولة ميدان لسباق الخيل فى حلب ، تتوسطه دكة ، يتفرج منها على الخيـــل وهى مسرعة ، وبجانب تلك الوسائل كانت وسائل أخرى ، مثل ســـباق مهارشة الديكة ، والكرة ، والصولجان وغيرهم .

---

(١١٠) الثعالبى ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
(١١١) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٨٠ ، جـ٢ ، ص ٧ :
(١١٢) حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٥٥ .

الصـــيد :

وكان الصيد أحب تسلية لدى الحمدانيين ، فقد أغرم به الأمراء ، وحفلت أشعار شعرائهم بذكره ، وكانت الوحوش والظباء تصاد بواسطة الصقور والكلاب ، وكانت الكباش تصاد بالحبال بالمطاردة بواسطة الخيل والـكلاب أيضا .

وفى ذلك يقول السرى الرفاء يصف الصيد بالكلاب(١١٣):

قمنـا بها نهتـك أستار الظـلم ... وبيننـــا ذات ضجيج نختصم
حتى اذا السرب تراءى من أمـم ... حيران ، قـــد ألبسه الذعر لـم
صيد قوافى ، ثم ألقى للســـلم ... وظـل نهبـــا بالأكف مقتســـم

ويقول أبو فراس الحمدانى فى ذلك(١١٤) :

دعـــوت بالصـفار ذات يـــوم ... عند انتباهى ســـحرا من نومى
قلت لـــه اختر سـبعة كبـــارا ... كـــل نجيـب يـــرد الغبـــارا
يكنون للأرنب منهـــا اثنـــان ... وخمســـة تفـــــرد للغـــزلان

وكانوا يقومون بالصيد نهارا ويخلدون للراحة والأكل والشراب ليلا، وربما استمر ذلك سبع ليال متوالية .

ولم يقتصر الصيد على البر فقط ، بل تعداه الى الصيد فى البحار والأنهار وقال السرى الرفاء يصف صيد السمك(١١٥) :

وأعـــين تأنف من أغضـــائها ... صـافية الأجفان من أقذافهـا
تردى بنـات الغدر فى أثنائها ... لحمهـا طيبا يجسم دائهـــا

---

(١١٣) محمد راشد أنيس ، الشعر فى رحاب سيف الدولة الحمدانى ، ص ٢١.
(١١٤) ابن خالوية ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
(١١٥) ديوان السرى الرفاء ، ص ١٣ .

الحمامات العـامة :

وكانت الحمامات لأهل هذا العصر ، من الخاصة والعـــامة على السواء ، خاصة الذين يودون الاحتفاظ بالرشاقة ونظافة الجسم وقد كثرت تلك الحمامات بدرجة كبيرة فى مدينـــة حلب ، وكانت متأثرة بالطابع البيزنطى ، حيث غلب عليها التزين بالصور ، ويبدو من أشعار الشعراء ، أنها كانت تتخذ أيضا لشرب الخمر والأكل بل انتشرت عـــادة القـــذف بالملابس ، ويبدو كذلك أن القيان كن يقمن حفلات الغنـــاء داخل تلك الحمامات .

وفى ذلك يقول السرى الرفاء(١١٦) :

بيت له داخـــل حل النعيم بـه ... وخارج فيه للقلب الشـجى مـزج
ذو قبـة كسماء ، والبدر بهـــا ... جاماتها فى ذرى فى الجو تسترح

ارتياد الأديرة :

أما الصورة الحقيقية لهذا العصر فنراها متجلية فى حياة الأديرة ، التى كانت مجالا للأنس ، وميدانا يطلق فيه للشـــعراء العنان فيلهون ويشربون ، ولعل أهل الذمة خاصة المستضعفين منهم ، كانوا على استعداد تام لاستقبال زوارهم خاصة اذا كانوا من الأمراء وعلية القوم ، وخاصة أن تلك الفئة تمتعت بالثراء ، فى حين كان عامة الشعب والفقراء منهم ،

وامتازت تلك الأديرة بجمال الموقع وسحر المكان وجودة النبيذ ، ووجود العديد من الراهبات والغلمان الحسان ، مما دفع أهل ذلك العصر الى ارتيادها خاصة فى أعياد النصارى(١١٧) واشتهرت حلب بعدة أديرة منها « دير مارمروتا » ، وهو دير صغير يقع خارج المدينة فى سفح جبل جوشن على نهر العرجان ، وكان سيف الدولة يحسن الى أهله ، وكان

---

(١١٦) نفسه ، ص ٤٥ .

(١١٧) الشابشتى ، أبو الحسن على بن محمد ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ص ١٣٩ .

كثير الزيارة لهذا الدير وفيه يقول الصنوبرى(١١٨) :

أما تـــرى البيعتـــين أفـــردتا بمفـــرد الأقحـــوان والمـــزوج
أبـــوابه المـــرن كيف ما اتصلت ونـــاره البـــرق كيف ما أجـــج

وقال أيضا يصف دير زكى بقرية بطياس(١١٩) :

انى طـــربت الى زيتون بطياس بالصـــالحية ذات الـــورد والآس
من ينس عهدهما يوما فلست له وان تطاولت الأيـــام بالنـــاس
ياموطنا كان من خير المواطن لى لمـــا خلوت به ما بين جـــلاسى

وقد أثرت تلك الأديرة فى الحياة الأدبية ، اذ تردد عليها الشعراء وقالوا فيها شعرا جميلا ، وامتدحوا فيها الرهبان ، بما امتازوا به من خفة الروح ، وسعة الاطلاع والمشاركة فى اللقاءات الثقافية والأدبية .

وفى ذلك يقول كشاجم(١٢٠) :

قد عدلوا ثقـــل أبدان بمعـــرفة منهـــم لخفـــة أبـــدان وأرواح
ورشحوا غـــرر الآداب فلســـفة وحـــكمة بعـــلوم ذات أوضـــاح
فى طب بقراط لحـــن الموصـــلى وفى نحو المبرد أشعار الطرماح

مجالس الشعر فى عهد سيف الدولة :

كان شعراء الحمدانيين على درجة من كثرة العدد ووفرته ، بحيث يتعذر أن ينسبوا الى اقليم واحد ، بل كان أغلبهم من الوافدين الذين ، استهواهم ما فى بلاط سيف الدولة من ترف ، وما لديهم من عطاء .

فمنهم من أنتسب الى حلب نفســـها مثل « الصـــنوبرى ، الخليع الشامى ، السرى الرفاء ، الخالدين من الموصـــل ، كشاجم ، ألوأواء ،

---

(١١٨) الثعالبى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١ .
(١١٩) الشابشتى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .
(١٢٠) الثعالبى ، ج ١ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢ .

الواسانى من بلاد الشام ، المتنبى ، الزاهى، ابن نباته من العراق(١٢١)٠ علاوة على أبى فراس الحمـــدانى ، ابن عم ســـيف الدولة ، وأحـــد قواده وولاته ٠

سيف الدولة شاعرا :

أنشأ الثعالبى فصلا فى يتيمة الدهر ، أورد فيه الكثير من أشعار سيف الدولة وذكر أنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ، بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وكان أديبا شاعرا ، محبا لجيد الشعر،شديد التأثر لما يمدح به(١٢٢) الا أن ابن العديم(١٢٣) ذكر أنه ينسب الى سيف الدولة أشعار كثيرة ، لا يصح منها له غير بيتين، ذكر أبو القاسم الحسين بن على المغربى كاتبه ، وهو جـــد الوزير أبى القاسم المغربى ، أنهما لسيف الدولة ولم يعرف له غيرهما ، وكتب بهما الى أخيه ناصر الدولة ، وقد مد يده الى شىء من بلاده المجاورة له من ديار بكر ، وكانت فى يد أخيه ٠

لست أجفو وان جفيت ولا أترك ... حقـــا على فى كـــل حـــالُ
انما أنت والـــد والأب الجافى ... يجـــازى بالصـــبر والاحتمال

شعراء عاصروا سيف الدولة :

المتنبى : ولد أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى المتنبى عام (٣٠٣هـ ـ ٩١٥م) لحق بالأمير سيف الدولة الحمدانى بعد اطلاق سراحه، حيث كان معتقلا لمدة عامين على يد لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيد ، ولم يطلق سراحه الا بعد التحقق من أنه عاد الى حظيرة الايمان ، بعد أن كان قد ادعى النبوة فى بادية السماوة من أعمال الكوفة عام (٣٣٧ هـ ـ

---

(١٢١) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ، ص ١٢٢ ٠
(١٢٢) الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧ ، ابن خلكان ، المصـــدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٨١ ٠
(١٢٣) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ٠

٩٤٨م)(١٢٤) وقد رأى فيه سيف الدولة عنصرا قويا من عناصر العظمة ، فأحبه وأخلص له الحب ، وظل نسع سنوات كاملة فى حماه ينعم بهباته وعطفه ، ولكن الرجل الموهوب ، لابد أن يكثر حاسدوه ،فمازالوا يكيدون له المكايد ويؤلبون عليه الأمير ، حتى ترك حلب الى مصر وأتصل بكافور الأخشيدى ، ومدحه بقصائد قوية ، الا أن كافورا لم يحقق له ما كان يصبو اليه ، فأنقلب المدح الى هجاء لاذع ثم انسل فى جوف الليل الى بغداد ومنها الى فارس ، يمدح ابن العميد حينا وعضدد الدولة حينا آخر • ثم عاد الى وطنه يحمل الأموال والهـــدايا الثمينة والكتب النفيسة وما أن اقترب من بغداد حتى داهمه فاتك الأسدى ، على رأس شرذمة من رجاله فقتلوه وكان قد أشرف على الخمسين(١٢٥) •

كان المتنبى حين أستقرت الأمور بحلب لسيف الدولة فى العقد الثالث من عمره وكان قد مر بألوان مريرة من بؤس الحياة وشظف العيش ذاق الفقر وذاق الهوان ، ودخـــل الى بلاط ســـيف الدولة وبه بعض الهيبة والذعر ، لأن بلاط سيف الدولة ، كان يعج بأكابر العلماء والأدباء والشعراء مثل الفارابى الفيلسوف وابن خالويه النحوى ، وابن جنى اللغوى ، وأبى ذر الصنوبرى وكشاجم وابن نباته ، وأبى الفرج العجلى وغيرهم كثير من الشعراء والقضاة والفنانين ، ولكن وثوقه من نفسه ، ورغبته فى المجد والشهرة ، جعلته يقتحم هذا الميدان ، وأن لا يعد نفسه غريبا ، لقد رأى فى هذا البلاط أيضا بذخا وثراء ، وأدبا وفنا وفروسية ومجدا ورأى فى سيف الدولة رجلا • يختلف عمن خبرهم من الرجال • وهـــذه الظواهر مجتمعة فتحت أمام عينيه آفاقا جديدة نقلته من حال الى حال ، من حياة القلق والضجر الى الرغـــد والاطمئنان ، استطاع أبو الطيب المتنبى أن يكون فى طليعة من يصحبهم سيف الدولة فى غزواته وحروبه ، وفى صيده ولهوه ، وفى سمره وليالى أنسه ، وبدأت المؤامرات تحاك حوله وبدأوا يدسون عليه ، ويصورون شعره شعرا مبتذلا ، لا يستحق هـــذا الاكبار والاجلال ، وكان فى طليعة هؤلاء النامى الشاعر ، وابن خالويه مؤدب

---

(١٢٤) شرح ديوان المتنبى ، المرجع السابق ، ص ٥ •
(١٢٥) سامى الكيالى ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ •

سيف الدولة ، وأبو فراس ، ابن عمه ، الذى كان أكثرهم حقدا عليه ، الا أن المتنبى لم يكن من الضعف بحيث يهرب من التعريض به ، فصمد وكون حوله جماعة من محبيه ، وظل طيلة مدة اقامته الشاعر الفذ الذى لا يدانيه شاعر فى الحظوة والرعاية .

وقال فى مدح سيف الدولة(١٢٦) .

خليـــلى انى لا أرى غيـــر شـــاعر
فلم منهـم الدعوى ومنى القصـائد ؟
فـلا تعجبـــا ان السـيوف كثيـرة
ولـكن سـيف الـدولة اليوم واحـــد
له من كريم الطبع فى الحرب منتض
ومن عـادة الاحسـان والصفح غامـد

وقال يمدح سيف الدولة ، ويذكر بنـــاءه مرعش فى المحـــرم عام (٣٤١هـ - ٩٥٢م)(١٢٧) :

فدينـــاك من ربع وان زدتنا كـــربا
فانك كنت الشـرق للشمس والغـــربا
فرب عـلام عـــلم المجـــد نفســـه
كتعـليم سـيف الدولة الطعن والضربا
اذا الدولة اسـتكفت بـــه فى ملمـــة
كفـاها فـكان السيف والكف والقلبـا

وقال فيما كان يجرى بينهما من معاتبة(١٢٨) :

ألا ما لســـيف الدولة اليـــوم عاتبـا
فـداه الورى أمضى السيوف مضـاربا

---

(١٢٦) الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨ .
(١٢٧) شرح ديوان المتنبى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
(١٢٨) شرح ديوان المتنبى ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

ومالى اذا اشـــتقت أبصـــرت دونـــه
تنائف لا اشـــتاقها وســـباسبا(١٢٩)
حنـــا نيـــك مسؤولا ولبيـــك داعيـــا
وحســـبى موهـــوبا وحســـبك واهبـــا
وان كـــان ذنبى كـــل ذنـــب فانـــه
محا الذنب كل المحو من جـــاء تائبـــا

وقال يهنىء سيف الدولة بعيد الفطر(١٤٠) :

الصوم والفطر والفطر والأعياء والعصر
منيـــرة بك حتى الشـــمس والقمـــر
ما الدهـــر عنـــدك الا روضـــة أنف
يامـــن شـــمائله فى دهـــره زهـــــر

وقال يعوده من مرض(١٣١) :

اذا أعتـــل سيف الدولة اعتلت الأرض
ومن فوقها والبـــأس والـــكرم المحض
شـــفاك الذى يشـــفى بجـــودك خلقـــه
فانـــك بحـــر كـــل وبحـــر له بعض

وكان آخر ما أنشده مدحا فى شوال (٣٤٩هـ - ٩٦٠م)(١٣٢) :

أيا أســـدا فى جســـمه روح ضيغـــم
وكـــم أســـد أرواحهـــن كـــلاب
ويا آخـــذ من دهـــره حـــق نفســـه
ومثـــلك يعصـــى حقـــه ويهـــاب

---

(١٢٩) سياسيا (تعنى الصحراء) .
(١٣٠) شرح ديوان المتنبى ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
(١٣١) نفس المرجع ، ص ١٦٣ .
(١٣٢) نفسه ، ص ١٦٠ .

أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدونى : ابن عم سيف الدولة وأحد قواده وولاته ، يعود بعمومته الى تغلب ، وبخؤولته الى تميم قيل أنه ولد فى الموصل فسماه والده الحارث وكناه أبا فراس ، أى الأسد ولم يخيب ظن والده فقد كان فارسا من الفرسان المعدودين ، ولم يبلغ الثالثة من عمره حتى قتل والده ، قتله إبن أخيه حسن الملقب ناصر الدولة ، هكذا ربى أبو فراس يتيما تحتضنه أمه ، ويعطف عليه ابن عمه سيف الدولة ، أخو ناصر الدولة(١٣٣) تمرس بجانب سيف الدولة فى فنون الفروسية والأدب ، فخرج شاعرا فارسا وكان سيف الدولة يحبه لشجاعته فقلده امارة منبج ، فخاض غمرات القتال وزاد عن حمى الوطن ووهب نفسه للمجد وللمكرمات(١٣٤) وهو القائل(١٣٥) :

فلا تصفن الحرب عندى فانها ... طعامى مذ بعت الصبا وشرابه
وقد عرفت وقع المسامير مهجتى ... وشقق عن زرق النصول اهابى
ولججت فى حلو الزمان ومره ... وأنفقت من عمره بغير حساب

وذات يوم بينما كان عائدا من الصيد فى نفر من أصحابه فاجأه كمين رومى عام (٣٤٨هـ - ٩٥٩م) فأخذ أسيرا وحمل الى خرشنة ، ثم الى القسطنطينية ، فبقى فى الأسر عدة سنوات الى أن افتداه سيف الدولة ، وبعدها أقطعه حمص بدلا من منبج(١٣٦) وقد كتب فى الأسر أجمل قصائده وأرقها وعرفت هذه القصائد بالروميات ومنها قوله عندما سمع حمامة ، وهو فى أسره ، تنوح على شجرة فقال يخاطبها(١٣٧) .

أقول وقد ناحت بقربى حمامة ... أيا جارتا ، هل تشعرين بحالى ؟
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل مجزون الفؤاد قوادم ... على غصن نائى المسافة عال ؟

---

(١٣٣) ابن خالويه ، المصدر السابق ، ص ٥ .
(١٣٤) سامى الكيالى ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(١٣٥) ابن خالويه ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
(١٣٦) ابن العديم ، المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٤٦ .
(١٣٧) ابن خالويه ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

أيا جارتا ، ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهموم ، تعالى !
أيضحك مأسور ، وتبكى طليقة ويسكت محزون ، ويندب سال ؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعى فى الحوداث غال !

ومات سيف الدولة بعد عودة أبى فراس بسنة واحدة ، وتولى بعده ولده أبو المعالى ، ابن أخت أبى فراس ، وتسلم الحكم بالوصاية عليه غلامه التركى قرغويه ، فأبى أبو فراس أن يطيع هذا الغلام ، وطمع بالسيادة على سوريا ، وكانت نهايته على يد هذا الغلام(١٣٨) • وبمقتله خسر الحمدانيون رجلا من ألمع رجالهم فى الفروسية والشعر •

وقال يذكر سيف الدولة مع قبائل العرب(١٣٩) :

بدولة سيف الله طلنا على الورى وفى عزه صلنا على من تجبرا
حملنا على الأعداء،وسط ديارهم بضرب يرى من وقعه الجو اغبرا
فسائل كلابا عروة بالس ألم يتركوا النسوان فى القاع حسرا
وسائل تمييرا ، يوم سار اليهم ألم يوقنوا بالموت ، لما تنمرا ؟
وسائل عقيلا ، حين لاذت بتدمر ألم نقرها ضربا يقد السنورا ؟
وسائل قشيرا حين جفت حلوقها ألم نسقها كأسا من الموت أحمرا؟

وقال فى مدحه(١٤٠) :

أشدة ما أراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلم
يا باذل النفس والأموال مبتسما أما يهولك لا موت ولا عدم
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السلامة من وقع القنا تصم

---

(١٣٨) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ ، القرمانى المصدر السابق ، ٢٦٥ •
(١٣٩) ابن خالويه ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ •
(١٤٠) الثعالبى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٠ •

السـرى الرفاء :

وبرز من شعراء هذا العصر أيضا أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء ، وكان فى صباه يرفو ويطرز فى دكان بالموصل وينظم الشعر حتى برع فيه(١٤١) ، قصد سيف الدولة بحلب ومدحه وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته الى بغداد وقد برع السرى الرفاء فى التغنى بجمال مسقط رأسه الموصل ، وترك لنا صورا رائعة ، وصف فيها أصحاب المهن من الحلاقين وصيادى السمك وغيرهم ، علاوة على وصفه مشاهد الطبيعة وأزهارها وأشجارها وغدرانها والسحب والثلج والمطر ، كما افتن فى وصف مجالس الشرب واللهو والخمر بالاضافة الى شعره فى المديح والتهنئة والهجاء والغزل . ومن شـــعره اللطيف فى وصف مهنته قوله(١٤٢) :

يكفيـك من جمـلة أخبـــارى بسـرى من الحـــب واعسـارى
فى ســـوقة أفضـلهم مرتـــد نقصـــا ففضـلى بينهـم عـارى
وكـانت الابـــرة فيمـا مضـى صـائنة وجهـى وأشـــعارى
فاصبح الـــرزق بهـا ضـيقا كـأنه من ثقبهـــا جـارى

وقال يمدح سيف الدولة(١٤٣) :

تركتهم بين مصـــبوغ ترائبـــة من الدمـــاء ومخضوب ذوائبـه
يهـوى اليه بمثل النجم طاعنه وينتحيه بمثـــل البرق غالبـه
يكسـوه من دمه ثوبا ويســلبه ثيـابه فهـــو كاســيه وســالبه

---

(١٤١) فيصل السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ ، المســعودى ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٨ .

(١٤٢) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٦ . الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٤٣) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦١ .

وقـــوله (١٤٤) :

ولا تبك الا بعد طول ضـــبابة ... وحسبك من فرط الصبابة ماأبكى
اذا الدمع لم يبرح محـــلا يحـــله ... سرى الدمع من أجفانه قلق المسرى

وقـــوله (١٤٥) :

يا موجبا حق الســـماح بنائـــل ... نتقاصر الأنـــواء عـــن أنـــوائه
والمبتنى بيـــت العـــلا ببأســـه ... فغـــدا عـــلاء النجم دون علائه

ويقول فى مدح سيف الدولة أيضا (١٤٦) :

أعزمتك الشـــهاب أم النهـــار ... أراحتـــك السحاب أم البحار ؟
خلفت منيـــة ومنى فأضـــحت ... تمـــور بك بســـيطة أو تمـــار
تحلى الـــدين أو تحمى حمـــاه ... فأنت عليـــه ســـور أو ســـوار

الصنوبرى : أبو بكر مرار :

من الشعراء الذين استهوتهم الطبيعة فعشـــقوها وهاموا بها ، وطربوا لأغاريد أطيارها ، رأى النور فى أنطاكية ، وما كاد يترعرع ويذوق حلاوة الأدب حتى انتقل الى حلب ، يعيش مع عشرات الشعراء فى ظلال الأمير الحمدانى سيف الدولة ، وقد ذكر نسبته الى الصنوبرى بقطعة من شعره حيث قال :

اذا عـــزيتا الى الصنوبر لـــم ... نعـــز الى خامل من الخشـــب
لا بل الى باســـق الفـــروع على ... مناســـبا فى أرومـــة الحســـب
باق على الصيف ، والشتاء اذا ... شابت رؤوس البنات لم يشـــب

عاش الصنوبرى فى ظلال سيف الدولة وعلى كثرة ما ضم بلاطه من

---

(١٤٤) ديوان السرى الرفاء ، المرجع السابق ، ص ٣ .
(١٤٥) المرجع السابق ، ص ٥ .
(١٤٦) الثعالبى ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٩ .

أساطين رجال الفكر والأدب ، كان من أصفى المقربين اليه فاتخذه نديما من أخلص ندمائه ، وأمينا لمكتبة قصره ، وكان الوحيد بين مئات الشعراء الذى الذى ترفع عن المدح فى سبيل المال، على كثرة ما مدحه الشعراء من مختلف الأقطار العربية استدرارا لعطفه ، وطمعا بهباته وأعطياته ، وان دل هذا على شيء فعلى أنفة هذا الشاعر وكبريائه ، وعلى ما امتاز به من نبل النفس وصفاء الطبع ، وازدرائه للمادة،ولعل هذه الصفات هى التى أدنته من قلب سيف الدولة ، وجعلته من أخلص أصدقائه دون أن يطالبه بثمن(١٤٧) ٠

الصنوبرى الذى عاش فى كنف الطبيعة ، لم يكن يجد نشوته الا فى فصل الربيع فصل الحب والأزاهير ، فالدنيا عنـــده ربيع ولا شيء غير الربيع ٠

وفى ذلك يقول(١٤٨) :

ان كان فى الصيف ريحان وفاكهة	فالأرض مستوقد والجو تنور
وان يكن فى الخريف النخل محترقا	فالأرض عريانة والجو مقرور
ما الدهر الا الربيع المستنير اذا	جاء الربيع أتاك النور والتنور

أما بقية من عاصروا سيف الدولة من الشعراء والأدباء وتفننوا فى مدحه فقد أوردهم الثعالبى(١٤٩) ومنهم ٠

أبو العباس بن محمد النامى وقال يمدح سيف الدولة :

خلقـــت كما أرادتك المعالى	فأنت لمن رجاك كما يريد
عجيب أن ســـيفك ليس يبزوى	وسيفك فى الوريد لـــه ورود
وأعجب منه رمحك حين يسقي	فيصـــحو وهو نشوان يميد

---

(١٤٧) سامى الكيالى ، المرجع السابق ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ٠

(١٤٨) القزوينى ، المصدر السابق ، ١٨٤ ٠

(١٤٩) انظر الثعالبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٨٥ ٠

وكقول أبى الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى الببغاء :

نداك اذا ضـــن الغمام غمـــام ... وعزمك ان قل الحسـام حسـام
فهذا ينيـل الرزق وهو ممنـع ... وذاك يرد الجيش وهو لهـام
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا ... وبالسـعد لم يبعـد عليه مـرام

وكقول أبى الفرج محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى الوأواء :

جـــدواك بالســـحاب فمـــا ... أنصـف بالحـكم بين شـكلين
أنـت اذا جـدت ضـاحك أبـدا ... وهـو اذا جـاد دامع العـين

وكقول أبى نصر بن نباته :

حاشاك أن تدعيكالعرب واجدها ... يامن ثرى قـدميه طينة العـرب
فان يكون لك وجه مثل أوجههم ... عند العيان فليسالصفقر كالذهب

ولم يقتصر هذا المديح علىالشـعراء فقط بل أن أبا ذر أسـتاذ سيف الدولة فى مدحه قال :

نفسى الفداء لمن عصيت عواذلى ... فى حبـــه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع فى أسرة وجهـه ... والبـدر يطلع من خلال قبـائه

الفـــارابى :

ممن ضمهم بلاط سيف الدولة ، الى ما ضمه من العلماء والأدباء والشعراء الحكيم أبو النصر الفارابى ، الذى يتفق المؤرخون على اعتباره من أكابر فلاسفة المسلمين، ولد عام (٢٥٩هـ - ٨٧٢م) .

ترك بغداد الى حلب ، حين شاهد ملك العباسيين يتقلص فى وقت ازدهرت فيه دولة الحمدانيين فى حلب خاصة فى الحركة العقلية أيام سيف الدولة ، مما حفزه على أن يحط رحاله فى ربوعها ، لا يعتز الا بما فى صدره من علم ومعرفة ، وما فى قلبه من آراء وخيالات وما فى ضميره من هواجس وأحلام ، ورغم أنه دخل الى العاصمة غريبا لا يعرفه

أحد ، أو لم يشأ أن يعلن عن نفسه ، الا أنه قصـــد توا بلاط الأمير ، فأخذ الأدباء والشعراء يتهامسون ، وكأنهم شعروا بوطأة هذا الدخيل على مجلسهم ، خاصة أنه بدأ يتكلم معهم فى كل فن ، فلم يزل كلامه يخلو ، وكلامهم يسفل حتى صمت الكل ، وبقى يتـــكلم وحـــده ، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله ، فصرفهم سـيف الدولة وخـــلا به ، وسرعان ما أنزله من مجلسه أرفع مكان ، ومن نفسه أسمى منزلة(١٥٠) وكان حبه للفارابى يفوق حبه جميع من ضمهم مجلسه من الشعراء والأدباء والعلماء والفنانين ، والفارابى لم يمدح سيف الدولة كما فعل الصنوبرى، ورغم أن الأذن كانت تميل الى سماع المدائح من أفواه الشعراء الا أن سيف الدولة كان ميله الى سماع آيات الحكمة أقوى ورغم محاولة سيف الدولة الاغداق عليه كثيرا ، الا أن الفارابى فضل أن يعيش عيشة زاهرة ، بعيدا عن زخارف الدنيا ، واقتصر فى معيشته على أربعة دراهم فضـــة فى اليـــوم(١٥١) .

ومن شعره عن فلسفته للحياة(١٥٢) :

لمـــا رأيت الرمان نكســـا ... وليـــس فى الصـــحبة انتفـــاع
كـــل رئيـــس بـــه مـــلال ... وكـــل رأس بـــه صـــداع
لزمـــت بيـــتى وصنت عرضا ... بـــه مـــن العـــزة اقتنـــاع
أشـــرب ممـــا أقنـــيت راحـــا ... لهـــا على راحتى شـــعاع
لى مـــن قواقيـــزها ندامى ... ومـــن قراقيـــرها ســـماع

لقد مجد سيف الدولة فى الفـــارابى شخصيته الفلسفية وشخصيته العلمية معا ، كما مجد الفارابى في سيف الدولة صـــفاته الفذة كأمير شجاع ، جمع الى صفات البطولة صفات السلطان الذى عمل على اسعاد قومه والزود عن وطنه .

---

(١٥٠) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٥ .
(١٥١) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٦ ، ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .
(١٥٢) ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

وخلاصة القول أن الفـــارابى أنس بلقيا سيف الدولة ، كما أنس الأمير بلقيا الفيلسوف .

ولم تمنع شيخوخة الفارابى وهو فى الثمانين من عمره من مرافقة سيف الدولة فى احدى غزواته الى دمشق ، فلم يكد يصلها حتى وافته منيته (٣٣٩هـ - ٩٥٠م) (١٥٣) ومن قوله قبل الوفاة(١٥٤) :

فمـــا الـــدار دار مقـــام لنـــا وما المرء فى الأرض بالمعجز
محيط الســـماء أولى بنـــا فمـــاذا التنـــافس فى مركـــز

ابن نباته الخطيب :

كما كان المتنبي شاعر سيف الدولة ، كان ابن نباته خطيبه الذى أثار والهب حماسة الناس فى سبيل الجهاد ، خاصة ضد البيزنطيين ، كان ابن نباته ، اماما فى علوم الأدب ، وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبى الطيب المتنبى ، فى خدمة سيف الدولة ، ولما كان سيف الدولة كثير الغزوات ، فلهذا أكثر ابن نباته من خطب الجهاد ليحض الناس عليه ، ويحثهم على نصرة الأمير ، ولا شك أن وقعها كان ذا تأثير مباشر فى نفوس مستمعيها ، فقد كان البيزنطيون على أبواب حلب وسيف الدولة لا تغمض له عين ، وهو مهيأ كل يوم لجهاد جديد ، ولهذا تأثر ابن نباته بهذا الموقف الحاسم الذى وقفه الأمير وانعكس ذلك فى خطبه التى لا تقل حماسة عن حماسة المتنبى ، حين كان يصـــور لنا معارك سيف الدولة وفى ذلك يقول :

والله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا
ولا قعدوا عن صـون ذمارهم الا اضمحلوا

وهو بهذا يثير الناس ويحثهم على الجهاد ، وأن يغالبوا الأهواء

---

(١٥٣) ابن العبرى ، أبو الفرج بن هرون الملطى ، مختصر تاريخ الدول ،ص٢٩٤ ، - ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .
(١٥٤) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

قبل محاربة الأعطاء ، ثم يحرضهم على القتال بشجاعة ، لأن الخوف لا يدفع عن الانسان الموت ، فلماذا الهلع والجزع . وعـــلام التراجع والاضطراب فيصرخ فيهم(١٥٥) :

الجهـــاد الجهـــاد أيهـــا الموقنـــون
والظفـــر الظفـــر أيهـــا الصـــابرون
والجنـــة الجنـــة أيهـــا الراغبـــون
والنـــار النـــار أيهـــا الهـــاربون

وعند هجوم الروم عام (٣٥١هـ ـ ٩٦٢م) على حلب ومحاولتهم الإستيلاء عليها القى خطبة صب فيها كل بلاغته ووصف هول القتال أبلغ وصف فقال « عباد الله :

« ... وقد أقامكم العز من أوطانكم على شفا ، لا ترقبون الا يد غاشم تخطفكم ، أو ريح عدو هاجم تنسفكم ، كالغنم بغير راع فهى شريدة طريدة بكل قاع ، والعدو يتملك بلادكم قاطنا ، ويفك عرى أمصاركم عروة عروة ، ويدك ذرى دياركم ذروة ذروة ، وأنتم من روح الله آيسون كأنكم النساء وهم الرجال ... »(١٥٦) توفى خطيبا فى مقتبل العمـــر فكانت ولادته عام (٣٣٥هـ ـ ووفاته عام (٣٧٤هـ) بميافارقين هكذا كان للخطابة كما كان للشعر ولسائر ضنوف الأدب ، هذا المركز السامى فى بلاط سيف الدولة .

---

(١٥٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ .
(١٥٦) سامى الكيالى ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

المصادر العربية القديمة

ـــ ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ) ٠
الكامل فى التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠
دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠

ـــ الأزدى : أبو بكر محمد بن الحسن بن ذريد (ت ٣٢١هـ)٠
الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ٠
مكتبة المثنى بغداد ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ٠

ـــ الاصطخرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ـ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) ٠
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ٠
القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م ٠

ـــ ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد ٠
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ٠ القاهرة ١٣٩٩هـ ـ ٩٨٨٢م ٠
دار الفكر ـ بيروت ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ٠

ـــ ابن بطوطة : شرف الدين أبو عبد الله (ت ٧٧٩هـ) ٠
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ٠
دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ٠

ـــ البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ٠
فتوح البلدان ، تحقيق ، صلاح المنجـــد ، القاهرة ، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م ٠

ـــ ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن (٨٧٤هـ) ٠
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٠
دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م ٠

— الثعالبى : أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابورى (ت٤٢٩هـ) .
يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، تحقيق ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار السعادة ـ القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٦٥م .

— ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ) .
رحلة ابن جبير ، دار صادر ـ بيروت ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

— ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) .
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد ـ ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م) .

— ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على (ت ٣٦٧هـ) .
صورة الأرض ، ليدن ، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م . القاهرة ، د.ت .

— ابن خالويه : أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت ٣٧٠هـ) .
ديوان أبى فراس الحمدانى ، دار بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .

— ابن خرداذبة ، أبو القاسم محمد بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ) .
المسالك والممالك ، ليدن ١٣١٧هـ ـ ١٨٩٩م .

— ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن جابر (ت ٨٠٨هـ) .
المقدمة ـ دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .

— ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ) .
وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ـ بيزوت ، ١٩٧٨م ـ ١٣٩٩هـ .

— الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) .
الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الشيال ، دار المسيرة ـ لبنان ١٩٧٩م .

(مجلة المؤرخ العربى)

— الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ٠
العبر فى خبر من غير ، تحقيق ، أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ٠

— ابن رسته : أبو على أحمد بن عمر ٠
الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٣٠٩هـ - ١٨٩١م ٠

— السرى الرفاء ، أبو الحسن كسرى بن أحمد الكندى الموصلى ٠
ديوانه ، مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م ٠

— الشابشتي : أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨هـ) ٠
الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥١م٠

— أبو شجاع :
ذيل كتاب تجارب الأمم ، نشر ، هـ٠ف أمدروز ، مكتبة المثنى ، القاهرة ١٣٣٤هـ ١٩١٦ ٠

— الصولى : أبو بكر ين يحيى (ت ٣٣٥هـ) ٠
أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، نشره ، ج٠ رهيورث ، د٠ت ، دار المسيرة - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م ٠

— الصفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) ٠
الوافى بالوفيات ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢م ٠

— ابن طباطبا : محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت ٧٠٥هـ) ٠
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاســـلامية ، دار بيروت للنشر - بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ٠

— الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ٠
تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ٠

— ابن العبرى : غريغوريوس ، أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطى (ت ٦٥٨م) .
مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م .

— ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد (ت ١٠٨٩هـ) .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . المكتب التجارى - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩م .

— ابن العديم : كمال الدين أبى القاسم عمر (ت ٦٦٠هـ) .
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق ، سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١م .

— القرمانى ، أبو العباس أحمد بن يوسف .
أخبار الدول وآثار الأول . عالم الكتب - بيروت د.ت .

— القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت ٦٨٢هـ) .
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار الصياد - بيروت - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .

— القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ) .
صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
نهاية الأرب فى معرفة أحوال العرب ، تحقيق على الخاقانى ومصطفى النجاح ، بغداد ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .

— ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا (ت ٧٧٤ هـ) .
البداية والنهاية . بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م .

— اجم : أبو الفتح محمود بن كشاجم .
أدب الندماء ولطائف الطرفاء - القاهرة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .

— المسعودى : أبو الحسن على بن الحسنى (ت ٣٤٦هـ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة ، القاهرة ١٨٣٤هـ - ١٩٦٤م .
التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

ـــ مسكويه : أبو على أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ) .
تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تصحيح ونشر هـ.ف. آمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ـ القاهرة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م .

ـــ المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٣٨٧هـ) .
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، القاهرة ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ـــ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥ هـ) .
شذور العقود فى أخبار النقود . القاهرة د.ت .

ـــ ناصر خسرو . أبو معين الدين المروزى (ت ٤٨١ هـ) .
سفر نامه . ترجمة خالد أحمد خالد ـ الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـــ ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ).
معجم البلدان . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

المراجع العربية الحديثة

- أحمد أمين : ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٦٢ ٠
- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٢٤ ٠
- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : مكتبة النهضة - القاهرة ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م ٠
- سامى الكيالى : سيف الدولة الحمدانى وعصر الحمدانيين ، دار المعارف : القاهرة د٠ت ٠
- شرح ديوان المتنبى : مراجعة نخبة من الأدباء ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٨ ٠
- شوقى عبد القوى عثمان : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الاسلامية ٠ المجلس الوطنى ، الكويت ١٩٩٠م ٠
- عبد الجليل حسن عبد المهدى : أبو فراس الحمدانى ، حياته وشعره ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ٠
- عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ٠
- فايد العمروسى : الجوارى المغنيات ، القاهرة ، ١٩٤٥م ٠
- فيصل السامر : الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب ، مطبعة الايمان ٠ بغداد ، ١٩٧٠م ٠
- محمد كرد على : خطط الشام ، دار العلم ، دمشق ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م ٠
- مصطفى الشكعة : فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ٠

المراجع الأجنبية المعربة

- ترتون أ٠س٠ أهل الذمة فى الاسلام : ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧م ٠
- متز : آدم : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة القاهرة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م ٠
- هونكه : سجريد ، فضل العرب على أوربا ، ترجمة ، فؤاد حسنين على ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

الدوريـــات :

- درويش حسن الجندى : سيف الدولة الحمدانى ، المجلة العربية ، الرياض ، أغسطس ١٩٧٧م ٠
- سمير شتا : درهمان نادران عن عـــلاقات دينية ، المسكوكات ، الرياض ، ابريل ١٩٧٣م ٠
- عبد الرحمن حميدة : حلب المدينة التى لا تقهر ، مجلة الفيصل ٠ العدد التاسع ، فبراير ، مارس ، الرياض ١٩٧٨م ٠
- محمد راشد أنيس : الشعر فى رحاب سيف الدولة الحمـــدانى : المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد ٢٥ ، بيروت ، ١٩٨٧م ٠
- مهاب درويش البكرى : الدرهم الحمدانى المحفوظ فى المتحف العراقى ٠ المورد ، العدد ١ ، ٢ ، الرياض ١٩٧١م ٠